مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢كورنثوس ٦: ١٦–١٨؛ ١:٧)

يا إخوةُ أنتم هيكلُ اللهِ الحيِّ كما قال اللهُ إنّي سأسكُنُ فيهم وأسيرُ فيما بينهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونونَ لي شعباً* فلذلك اخرُجوا من بينِهم واعتزِلوا يقولُ الربُّ ولا تَمَسُّوا نجِساً* فأقبَلُكم وأكونُ لكم أباً وتكونونَ أنتم لي بنين وبناتٍ يقولُ الربُّ القدير* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيُّها الأحبَّاءُ فلنُطهِّرْ أنفُسَنا من كلِّ أدناسِ الجَسدِ والروحِ ونكمِّلِ القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(متى ١٥: ٢١–٢٨)

في ذلك الزمان خرجَ يسوعُ إلى نواحي صورَ وصيدا وإذا بامرأةٍ كنعانيَّة قد خرجت من تلك التُخومِ وصرخت إليه قائلةً

القديس إفستاثيوس
رئيس أساقفة أنطاكية

نحتفل في الواحد والعشرين من شهر شباط بتذكار أبينا القديس إفستاثيوس الذي كان رئيس أساقفة أنطاكية خلال الصراعات ضد الهرطقة الآريوسية في النصف الأول من القرن الرابع.

ولد القديس في بمفيلية حوالي العام ٢٧٠. ما نعرفه عن نشأته المبكرة قليل. صار أسقفاً على فيريه (حلب حالياً) في سوريا ما بين سنة ٣١٩ و٣٢٠. والعام ٣٢٥، رُفِّع إلى أسقفية أنطاكية قبيل المجمع المسكوني الأول. كان أفستاثيوس لاهوتيًّا واسع العلم، شارك في المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية عام ٣٢٥ واعتُبِر من أهمّ شخصياته. كان بارزاً من بين مناهضي آريوس والآريوسية، مناضلاً بغيرة من أجل الحفاظ على نقاء الإيمان. وقد تابع معركته ضدّ الآريوسيين بعد المجمع شانًّا عليهم هجوماً غير منقطع عبر كتاباته.

عام ٣٣١، وفي مجمع غير قانوني، تمكن خصومه، وبواسطة شهود زور، من حرمه. نُفي إلى تراجنوبوليس في تراكية على الرغم من أن اليهود الذين اتّهموه تقدّموا واعترفوا بإثمهم علانية. ومع أن شعب أنطاكية الذي أحبه ووقّره كان ناقماً على سوء المعاملة، إلاّ أنّ القديس منعهم من مواجهة معتقليه والدفاع عنه، وحثّهم على البقاء أوفياء للإيمان الأرثوذكسي، وذلك حين رافقته إلى منفاه مجموعة كبيرة من الكهنة الأمناء. وقد تابع في المنفى جهاده ضدّ الآريوسيّة بالغيرة ذاتها، إلى أن رقد في تراكية عام ٣٣٧. عام ٤٨٢ نُقِلت رفاته إلى أنطاكية، ما بعث سروراً في نفوس شعبها الحسن العبادة.

يُعتبر نتاجه التأليفي بشكل رئيسي أدباً دفاعيًّا ضد الآريوسيين. كان أهلاً لعمل كهذا بفضل تمرّسه في قراءة الكتاب المقدس ومعرفته العميقة للفكر الفلسفي. أما القسم الآخر من مؤلّفاته فكان ذا طابع تفسيري. وقد كان القديس أفستاثيوس كمفسّر للكتاب المقدس خصماً شديداً للطريقة المجازية في تأويل نصوص الكتاب، هذا النهج الذي شاع في المدرسة الإسكندرانية

العدد ٢٠١٣/٧

الأحد ١٧ شباط

تذكار القديس العظيم في الشهداء

ثاودورس (وهبة الله) التيروني

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الرابع

إرحمني يا ربُّ يا ابنَ داود، فإنَّ ابنتي بها شيطانٌ يعذِّبها جدًّا* فلم يُجِبها بكلمةٍ. فدنا تلاميذه وسألوه قائلين إصرِفْها فإنَّها تصيحُ في إثْرِنا* فأجاب وقال لهم لم أُرسَلْ إلاَّ إلى الخرافِ الضالَّةِ من بيتِ إسرائيل* فأتتْ وسجدت له قائلةً أغِثْني يا ربُّ* فأجاب قائلاً ليس حسناً أن يُؤخَذَ خبزُ البنينَ ويُلقى للكلابِ* فقالت نعم يا ربُّ فإنَّ الكلابَ أيضاً تأكُلُ من الفُتاتِ الذي يسقطُ من موائدِ أربابها* حينئذٍ أجاب يسوعُ وقال لها يا امرأةُ عظيمٌ إيمانُكِ فليكُنْ لكِ كما أردتِ* فشُفيتِ ابنتُها من تلك الساعة.

تأمل

عندما نطلب شيئاً سيّئاً ضدّ أعدائنا، لا يحقّقه الله، لا بل يغضب إن لم نصلِّ من أجلهم، لأنّ الصلاة دواء. فإذا كنّا لا نعرف كيف يجب أن نستخدم دواءً ما، فلن نستفيد أبداً من فاعليّته.

إن الصلاة المستمرة هي خيرٌ عظيم، نعلم هذا من المرأة الكنعانية الوارد لتفسير الكتاب المقدس والذي يبالغ في تفسير كل صورة أو عبارة في الكتاب على أنها رمز، والذي أدّى في بعض مناحيه المتطرفة إلى الخروج عن منحى الاعتدال في فهم نصوص الكتاب واستخراج معانيها.

كان القديس إفستاثيوس يرتكز على الدوام في تفاسيره الكتابية على «حرفية السرد» مستخدماً التوازيات الكتابية أي المقارنات بين نص وآخر. ولم يصلنا من أعماله الكثيرة سوى مؤلّف واحد: مؤلَّفه التفسيري الطويل ضدّ أوريجنس.

في لاهوت القديس جانب آخر قيّم وهو الخريستولوجية، أي التعليم عن شخص المسيح وطبيعتيه. فقد كان دائم التشديد على أنّ للمسيح طبيعتين إثنتين. كان القديس إفستاثيوس في علمه الغزير واستنارته الروحية سابقاً للمجمعين المسكونيين الثالث والرابع.

يعلّم القديس أنّ المسيح هو من جوهر الآب ومن طبيعته الإلهية ذاتها. وعلى الرغم من أنه «أقنوم فرد»، إلا أنه يسكن بثبات في الآب. هو الكلمة والحكمة الإلهيتان. به خُلق كلّ شيء. هو ابن الله الحي الفائق الألوهة، الذي وُلد من الجوهر غير المخلوق للآب، كما أنه صورة الآب الحقّة.

ويشدّد القديس إفستاثيوس على حقيقة التجسّد الإلهي ودخول ابن الله الوحيد وكلمته الأزلية واقع حياتنا. يصرّ على أنّ للمسيح نفساً بشرية وفكراً بشريًّا. فهو يقدّس بتجسّده ونعمته الإلهية نفوسنا وفكرنا. كذلك المسيح اتخذ جسداً بشريًّا من مريم العذراء فبارك وجودنا في الجسد وأفعالنا وقوّانا وكل مساعينا. «النفس العقلية للمسيح من نفس جوهر أنفس البشر تماماً كما أنّ جسده، الذي من مريم، هو من نفس جوهر جسدنا البشري».

ويركّز القديس على الطبيعة البشرية للكلمة المتجسّد مشيراً إليها بعبارته الشهيرة: «المسيح الإنسان». وهو يشرح أنّ المسيح الإنسان هو صورة الآب وكلمته الأزلي، وهو هيكل حكمة الله و«بيته البشري ومسكنه». والكلمةُ الإلهُ يحمل في ذاته بشريّته التي صارت بالتجسد «تسكن فيه بغير انقطاع».

عند قيامة المسيح «رُفّعت بشريته ومُجِّدت». قيامة المسيح سكبت المجد الإلهي على البشر، وهذا «المجد المُكتسب» لم يكن لدى الإنسان من قبل تجسّد المخلّص.

وقد استُخدمت مؤلفات القديس أفستاثيوس في المجمع المسكوني الثالث (أفسس ٤٣١) كوسيلة ناجعة لمحاربة العقائد الهرطوقية، وهذا بحدّ ذاته تأكيد على مكانته وسلطته المتمايزتين كأب للكنيسة.

الطهارة

تقرأ الكنيسة المقدسة في الآحاد التي تمتد بين وداع عيد الظهور الإلهي وبداية زمن التريودي، أي فترة التهيئة للصوم الكبير، عدداً من المقاطع الإنجيلية: العشر برص (لو ١٧: ١٢–١٩)، أعمى أريحا (لو ١٨: ٣٥–٤٣)، زكّا العشار (لو ١٩: ١–١٠)، مَثَل الخمس وزنات (متى ٢٥: ١٤–٣٠)، وفي الأحد الذي يسبق مباشرة بداية التهيئة نقرأ إنجيل الكنعانية (متى ١٥: ٢١–٢٨) مع فصل من رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل

ذكرها في الإنجيل، والتي لم تكن تكفّ عن الصراخ: «ارحمني يا سيّد» (متى ١٥: ٢٢)، فحصلت بصبرها على ما أمسكه يسوع عن الرسل والتلاميذ. كما ترون، فإن الربّ يفضّل بالنسبة لطلباتنا، أن نتوسل إليه شخصياً، بدلاً من أن يتوسّل إليه آخرون لأجلنا.

عندما نكون بحاجة إلى الآخرين، نضطّر إلى صرف الأموال والمداهنة والمجاملة والسّعي الحثيث، لأنّ رؤساء هذا العالم لا يعطونا ما نطلبه منهم بسرعة، بل إنّهم أيضاً لا يتنازلون أحياناً حتى إلى مكالمتنا. علينا أولاً أن نقترب من الناس المحيطين بهم – الخَدَم والكَتبة والموظفين إلخ – وأن نلاطفهم، وأن نتوسّلهم، وأن نقدّم لهم هدايا، وهكذا سنومّن وساطتهم لدى أولي الأمر لتسوية أيّ أمرٍ خاصٍّ بنا.

إن الله لا يريد وسطاء بل على العكس فإنّنا لسنا بحاجة لأن يتوسّله الآخرون من أجلنا إذ إنّه يفضّل أن نطلب إليه نحن بأنفسنا. هو وحده يُديننا

كورنثوس التي يقول فيها: «إذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكمّلين القداسة في خوف الله» (٢ كور ٧: ١).

يتمحور كلا المقطعان، رسالة وإنجيل هذا الأحد، حول طهارة الإنسان الجسدية والروحية ليكون أهلاً لاستقبال الرب يسوع «فأدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي» (رؤ ٣: ٢٠). ما يدنس الجسد هو الزنى وما يرافقه من خلاعة، أما الدنس الروحي فالأفكار الشريرة والنظرات العدائية والبغض والغش والحقد والكذب. هذا الدنس يقوّض علاقة بنوّتنا لله التي وهبنا إياها الله وعندها يواجهنا الرب يسوع بأقسى كلام كما فعل مع المرأة الكنعانية: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُلقى للكلاب» (متى ١٥: ٢٦)، مع الإشارة إلى أن الكلب كان يُعتبر حيواناً نجساً وأن هذه الشتيمة للوثنيين كانت شائعة عند بعض المعلّمين اليهود.

يذكر القديس بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس الغاية من التطهير، لأننا «هيكل الله الحي» (٢ كور ٦: ١٦). في المعمودية لبسنا المسيح وأصبح كلٌّ واحد منّا عضواً من أعضاء جسده، وبالتالي سكنى الله لم يعد «في الخيمة» كما في العهد القديم بل صرنا نحن المؤمنين به هيكلاً له، كما جاء في سِفر اللاويين «واجعل مسكني في وسطكم ولا ترذلكم نفسي وأسير بينكم وأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً» (لاو ٢٦: ١١–١٢).

العلاقة الجديدة التي وهبنا إيّاها الله بالرب يسوع المسيح هي أنّه جُعلنا أبناء له أخصاء «وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء» (٢ كور ٦: ١٨). هذه البنوّة لله نستمدها بالنعمة الإلهية التي نأخذها بالمعمودية عندما نموت ونقوم معه في جرن المعمودية. فبعد ان طهّرنا دم يسوع «من كلّ خطيئة» (أيو ١: ٧) تأتي مياه المعمودية لتحرّرنا من كل الأدناس وتجعلنا متحدين بيسوع المسيح القائم من بين الأموات الذي يقدّس الكنيسة وأبناءها «بغسل الماء بالكلمة لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء مثل ذلك بل تكون مقدَّسة وبلا عيب» (أف ٥: ٢٦).

بناءً على هذه العلاقة الجديدة يترتّب علينا أن نخرج من وسط الخطأة ونعتزل ولا نمسّ نجِساً (٢ كور ٦: ١٧). ما قصده بولس الرسول في كلامه هذا ليس أن نبتعد عن المجتمع المحيط بنا بل أن نقطع عن أنفسنا كل ما يؤدّي بنا إلى السقوط في الخطيئة، أي أن يكون نظرنا وفكرنا وقلبنا في الطهارة بعيداً عن الشهوات الدنيوية. لذلك يقول بولس الرسول «ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟ أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشا. أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد؟ لأنه يقول: «يكون الإثنان جسداً واحداً. وأما من التصق بالرب فهو روح واحد. اهربوا من الزنى. كل خطيئة يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١ كور ٦: ١٥–٢٠).

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن «القديس هو الطاهر لأن القداسة

عندما نطلب إليه كلّ ما نحن بحاجة إليه. كما أنّه هو وحده يعطي ما لم نقرضه إيّاه، وإن رأى أننا نصرّ في الصلاة بإيمانٍ وصبرٍ، يدفع من دون أن يطلب مقابلاً، لكن إن رأى أنّنا نصلّي بكسل فإنه يؤجّل الاستجابة ليس لأنّه يحتقرنا أو يُعرض عنا، بل لأنّه، كما قلت، بهذا التأخير يُبقينا إلى جانبه.

إذاً، إن استجاب لك الله اشكره، وإن لم يستجب لك إبقَ إلى جانبه لكي يستجيب لك. أيضاً إن مرمرته بخطاياك فلا تيأس؛ عندما تمرمر إنساناً، ثم تظهر أمامه باستمرار صباحاً وظهراً ومساءً طالباً المسامحة بتواضع، ألن تكسب رحمته؟ ستكسب أكثر رحمة الله الطويل الأناة إن طلبت رحمته بالصلاة صباحاً وظهراً ومساءً وكلّ ساعة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لا تعني فقط العفة بل التحرّر من كل خطيئة أيضاً. والطاهر لا يصير طاهراً بتجنّب الزنى فقط بل أيضاً الطمع والحسد والمجد الباطل وغيرها ويسعى إلى عمل الإحسان». فمع زمن التهيئة للصوم وبعده الدخول في زمن الصوم الكبير لنجتهد في تطهير أجسادنا وأنفسنا من أدناس الخطيئة لنصل في نهاية هذه الرحلة بلباسنا الجديد لإستقبال المسيح القائم من بين الأموات.

إتّفاق آراء الزوجين

«وليُعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا اهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب المسيح يسوع» (رو ١٥: ٥).

نقرأ في سفر التكوين أن الله خلق الإنسان على صورته، ذكراً وأنثى خلقهم (تك ١: ٢٧). هذا الاختلاف الظاهر في الشكل بين الرجل والمرأة، والذي هو دليل تنوّع وغنى، لم يكن يمنع الوحدة بينهما. لقد صرّح آدم حين رأى زوجته: «هذه الآن عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي، هذه تدعى امرأة لأنّها من امرئ أُخِذَت، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً» (تك ٢: ٢٣-٢٤). إن الاتّحاد بين الرجل والمرأة في سر الزواج، فيه شيءٌ من القداسة، لأنه يجمع شخصين مختلفين ويُتحدُهما معاً في شركة محبة، على شبه الله المثلّث الأقانيم الذي هو محبة.

في خدمة الخطبة الكنسيّة يصلّي الكاهن: «من أجل عبد الله (فلان) وأمة الله (فلانة) اللذين يخطبان الآن أحدهما الآخر وخلاصهما»، و«من أجل أن يُحفظا في الاتّفاق والإيمان الوطيد، وأن يُصانا بعيشة وسيرة لا عيب فيهما». إنّ الهدف الأساسي من كلّ عمل نقوم به هو الخلاص، كما أنّ الاتّفاق المنشود والإيمان الوطيد هما عطيةٌ من الرب. هذا لا يعني أن لا دور لنا في ما يحدث معنا. إن نحن رفضنا عطية الله فهو لا يستطيع أن يحفظنا رغماً عنا. علينا أن نتجاوب مع وصايا وتعاليم الرب مجتمعين حوله، وما جمعه الله لا يفرّقه إنسان.

في خدمة سر الزواج يتّضح لنا أن الغاية من الطاعة المعاشة ضمن الزواج هي أن يسلك الزوجان بحسب مشيئة الله. إن المؤمنين يدركون أن اتّفاق العزم والآراء في كلّ شيء هو أمرٌ مستحيل بحسب البشر. من الممكن أن يكون للشخص الواحد آراء متعددة ومتنوعة في موضوع واحد، فكيف إذا كانا شخصين، أو لاحقاً عدة أشخاص بوجود الأولاد؟ لذا على الزوجين المؤمنين، إن كانا يعِيان أن الزواج هو إحدى الطرق المؤدية للقداسة، أن يبحثا دون هوادة عن مشيئة الله ليفعلاها في حياتهما. أن نحقّق مشيئة الله على الأرض في عائلتنا هو دون شكٍ أمرٌ صعب، لكن نتائجه تأتي بالبركات على العائلة، «لأنه حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨: ٢٠).

ليس كل اتّفاق بالآراء هو مبارك، إذ قد يتّفق شخصان على أمر سيء وهذا يكون أسوأ من عدم الاتّفاق. حينما اتّفق آدم وحواء على معصية الرب في الفردوس، فقدا الوحدة بينهما وبين كلّ منهما وبين الله، وفقدا الفردوس أيضاً، وحُرما كذلك من شجرة الحياة.

ختاماً نوصي الزوجين مَن هو قوي أن يحتمل الضعيف لا أن يستقوي عليه، وأن يسعى كلٌّ منهما لإرضاء الآخر وليس نفسه في الأمور المباركة والخيّرة. إتخذوا المسيح مِثالاً لكم فهو احتملنا نحن الضعفاء دون أن يطلب ما لنفسه.